دراسات في علوم القرآن المعاصرة:
موقف السر أحمد خان من إعجاز القرآن الكريم

Hamdan Maghribi

State Institute of Islamic Studies (IAIN) Surakarta
E-mail: maghribihamdan@gmail.com

Abstract. This paper deals with the *I'jaz* Alquran according to Sir Syed Ahmad Khan. It is concluded that Khan toughly emphasized his interpretation concept on rationalism. Khan also applied it for Quranic studies, such as emphasizing on rational and scientific facts that negate several metaphysical and invisible issues contained in Qur'an. Following his view on the prophets' miracle which is irrational and unacceptable for human mind. Again, the concept of *I'jaz* Alquran is also one of Khan's thought on rationality, though he acknowledged the great literary contents of Quran, as well he uncategorized it as a miracle. He then said that God's challenge human to afford the similar verses to Qur'an is unclassified among *I'jaz* Qur'an, since God did the similar thing to the book of Torah as well. Unlike the opinion of majority *Tafseer* scholars, among the *Salaf* and *Khalaf*, they viewed that God's challenge and the Quran high literature are evidence of *I'jaz* Quran.

Abstrak. Artikel ini membahas *I'jaz* Alquran menurut Sir Syed Ahmad Khan. Dari pembahasan tersebut dapat disimpulkan bahwa Khan sangat menekankan konsep penafsirannya pada rasionalisme. Khan menekankan pada tafsir rasional dan fakta-fakta ilmiah sehingga menafikan beberapa hal ghaib yang terkandung dalam Alquran; seperti Mu'jizat para nabi karena menurut Khan hal tersebut tidak bisa diterima oleh akal. Konsep *i'jaz* Alquran juga tidak terlepas dari pandangan rasionalitas Khan. Meski mengakui kandungan sastra Alquran yang tinggi, tidak memasukkannya sebagai kategori mu'jizat. Khan mengatakan tantangan Tuhan kepada manusia untuk mendatangkan ayat yang serupa dengan Alquran bukan masuk dalam kategori *I'jaz* Alquran, karena hal serupa juga dilakukan Tuhan terhadap kitab Taurat. Hal ini bertentangan dengan pendapat mayoritas ulama tafsir; salaf maupun khalaf, yang justru mengatakan bahwa citarasa sastra yang tinggi dan tantangan Tuhan merupakan bukti dari *i'jaz* Alquran.

Kata Kunci: I'jaz Alquran, Sir Syed Ahmad Khan, ulum Alquran

تمهيد

قبل أن نبيّن المراد من هذا المركب الإضافي، ينبغي أن نعرف أولا معنى كل من طرفيه، وهما لفظ إعجاز ولفظ القرآن. اختلف العلماء في لفظ القرآن على أقوال يمكن إيجازها فيما يأتي:

القول الأول: وهو أن لفظ القرآن مشتق مهموز، واختلف أصحاب هذا القول على رأيين: **الأول**: أنه مصدر مهموز على وزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا. سمّي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر. وممّن ذهب إلى هذا الرأي اللحياني[١] رحمه الله[٢]. **الثاني**: أنه وصف مهموز على وزن فَعَلان مشتق من قرء بمعنى الجمع. ثم سمّي به الكلام المنزّل على النبي صلعم لجمع السور والآيات فيه، أو القصص والأوامر والنواهي، أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة. وممّن ذهب إلى هذا الرأي الزجاج رحمه الله[٣].

القول الثاني:وهو أن لفظ القرآن مشتق غير مهموز، واختلف أصحاب هذا القول على رأيين أيضاً: **الأول**: أنه مشتق من القرائن جمع قرينة. وسمّي به القرآن لأن آياته يشبه بعضها بعضاً، فكأن بعضها قرينة على بعض. وممن قال بهذا الرأي الفراء رحمه الله[٤]. **الثاني**: أنه مشتق من قرن الشيئ بالشيئ إذا ضمّه

---

[١] اللحياني، هو علي بن حازم لغوي عاصر الفراء وتصدر في أيامه، وأخذ عنه القاسم بن سلام. من آثاره: كتاب في النوادر. راجع: عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*. (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت)، ٥٦/٧.

[٢] انظر: السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، (بيروت: دار الكتب العربي، ١٤٢٦ هـ)، ٥١/١.

[٣] انظر: محمد الزركشي، *البرهان في علوم القرآن* (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠) ٢٧٨/١.

[٤] انظر:السيوطي، *الإتقان*، المرجع السابق، ٥١.

إليه. وسمّي به القرآن لأن السور والآيات تقرن فيه ويضم بعضها إلى بعض. وممن قال بهذا الرأي الأشعري رحمه الله[٥]. ونون القرآن على هذين القولين أصلية[٦]، بخلافه على القولين الأولين، فنونه زائدة[٧].

القول الثالث: وهو أن لفظ القرآن ليس مشتقاً ولا مهموزاً، بل هو مرتجل غير منقول وُضع من أول الأمر علماً على الكلام المنزّل على النبيً صلى لله عليه وسلم. وهذا القول مروي عن الإمام الشافعي رحمه الله[٨].

وهكذا يكون مجموع الأقوال التي وردت في لفظ القرآن خمسة أقوال. وأقواها وأرجحها القول الأول؛ لموافقته قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ[٩]، أي: قراءته، وقوانين الاشتقاق وموارد اللغة. ويليه في القوة القول الثاني. أما الأقوال الأخيرة الثلاثة فهي مرجوحة؛ لبعدها عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة[١٠].

أما القرآن في الاصطلاح فيطلق على: "اللفظ المنزل على النبي صلعم المكتوب في الصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"[١١].

---

[٥] انظر: الزركشي، *البرهان*، المرجع السابق، ٢٧٨/١.

[٦] انظر: السيوطي، *الإتقان*، المرجع السابق، ٥١/١.

[٧] انظر: محمد أبي شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم* (القاهرة: نشر مكتبة السنة، ١٩٩٢) ص. ١٩. ط١

[٨] انظر: السيوطي، *الإتقان*، المرجع السابق، ٥٠/١.

[٩] القيامة، الآية: ١٧.

[١٠] انظر: محمد الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن* (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، د.ت) ١٤/١. ط٣. محمد أبي شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، المرجع السابق.

[١١] تعريف القرآن على هذ الوجه مجمع عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية. راجع: صبحي الصالح، *مباحث في علوم القرآن* (بيروت: نشر دار العلم للملايين، ١٩٨٥) ٢١. ط ١٦.

أما لفظ الإعجاز مشتق من مادة عجز، وهي تدل في اللغة على معنيين أصليين، هما: الضَّعف ومؤخر الشيئ[١٢].فمن الأول، عجَز عن الشيئ عجِز يعجز عجْزاً فهو عاجز، أي ضعيف. والمِعْجِزة والمعجَزة العجز[١٣].ويقال: "أعجزني فلان، إذا عجزتُ عن طلبه وإدراكه"[١٤]. و "أعجزه الشيئ، أي فاته"[١٥]. وفي الأثر: "لا تُلِثّو بدار مَعْجزة" أي: لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش[١٦]. ومن الثاني، عجْز الشيئ عِجْزه عُجْزه وعَجِزُه آخره[١٧]. ويقال: "فلان عِجْزة ولد أبويه، إذا كان آخرهم"[١٨].و "العَجَز، داء يأخذ الدابة في عجُزها"[١٩]. و "عجُز بيت الشعر، خلاف صدره"[٢٠]. ومنه قول بعض الحكماء: لا تدَبَّروا أعجاز أمور قد ولّت صدورها. يريد بها أواخر الأمور وصدورها[٢١].والإعجاز في الاصطلاح هو "أن يُؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"[٢٢].

---

[١٢] انظر: القزويني الرازي، معجم *مقاييس اللغة* (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩) مادة عجز ٢٣٢/٤.

[١٣] انظر: *مقاييس اللغة* ٢٣٢/٤. *لسان العرب* (مادة عجز). ٤٣٠/٥.

[١٤] *تاج العروس* (مادة عجز) ٢١١/١٥.

[١٥] *الصحاح* (مادة عجز) ٧٤٩/٢.

[١٦] انظر: *لسان العرب* ٤٣٠/٥. والأثر نسبه ابن منظور إلى سيدنا عمر.

[١٧] انظر: *لسان العرب* ٤٣٢/٥.

[١٨] *الصحاح* ٧٥٠/٢.

[١٩] *القاموس المحيط* (مادة عجز) ٧١١/١.

[٢٠] *تاج العروس* ٢١٤/١٥.

[٢١] انظر: *لسان العرب* ٤٣٢/٥.

[٢٢] *التعريفات* ٤٧.

ومعنى إعجاز القرآن باعتباره مركباً إضافياً: "إثبات القرآن عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحداهم به"[٢٣]. ثم المطلوب من الإعجاز القرآني ليس الإعجاز لذاته، وإنما لازمه وهو إثبات أن هذا الكتاب حق وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق[٢٤].

وجه إعجاز القرآن الكريم

إن مما هو معلوم أن القرآن الكريم أعظم معجزة أكرم الله بها رسول الله صلعم، وبنى أمر نبوته على هذه المعجزة. قال تعالى: وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[٢٥]. لذلك حاول العلماء معرفة وجه إعجاز القرآن. وقد خاضوا في ذلك فاختلفت أنظارهم وتباينت آراءهم. فمنهم من اقتصر على وجه واحد، ومنهم من نوّع وعدّد وجوه الإعجاز في القرآن حتى أنهاها الإمام السيوطي إلى خمسة وثلاثين وجها[٢٦]. وفيما يلي ذكر لأهم الآراء في إعجاز القرآن.

الأول: وهو أن وجه إعجاز القرآن اشتماله على البلاغة التي تتقاصر عنها سائر ضروب البلاغات. ذهب إلى هذا الرأي الجاحظ. **الثاني**: وهو أن وجه

---

[٢٣] محمد الزرقاني، *مناهل العرفان*، المرجع السابق، ٢/٢٣٨.

[٢٤] انظر: المرجع السابق.

[٢٥] العنكبوت، الآيتان: ٥٠-٥١. وقد أورد الإمام الباقلاني أدلة قرآنية كثيرة لإثبات كون الله تعالى جعل معجزة رسول الله سبحانه وتعالى في القرآن وأنه بنى نبوته عليه. راجع كتابه: الباقلاني، *إعجاز القرآن* (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨) ٢٤ وما بعدها. ط١

[٢٦] انظر: السيوطي، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، تحقيق: على محمد البجاوي، (القاهرة: دار الفكر، د.ت.) ١/١٤-٥١٤.

إعجازه مركّب من أمور ثلاثة هي: أخبار الغيب التي أخبر عنها القرآن قبل أن تحدث. والأخبار عن الأمم الماضية مع أمية الرسول صلعم. ونظم القرآن البديع. انتهى إلى هذا الرأي الباقلاني رحمه الله[٢٧].

الثالث: وهو أن وجه إعجاز القرآن الكريم كامن في اختصاصه برتبة في الفصاحة خارجة عن العادة. جنح إلى هذا الرأي القاضي عبد الجبار رحمه الله[٢٨]. **الرابع**: وهو أن إعجاز القرآن في نظمه البديع. تبنى هذا الرأي الجرجاني رحمه الله[٢٩]. **الخامس**: رأي آخر مقابل للآراء السابقة وهو أن إعجاز القرآن الكريم في الصرفة[٣٠]. وحامل لواء هذا الرأي هو النظام المعتزلي[٣١]رحمه الله[٣٢].

---

[٢٧] انظر: الباقلاني، *إعجاز القرآن*، المرجع السابق، ٥٠-٥٢.

[٢٨] انظر: عبد الجبار، *المغني في أبواب العدل والتوحيد*، تحقيق: أمين الخويلي. ط١، (القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٠)، ٣١٨/١٥.

[٢٩] لخص الجرجاني معنى النظم عنده في قوله: "أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو". ومعنى كون لكلام يوضع موضعا يقتضيه علم النحو عنده أن يكون ترتيب أجزاءه من اسم وفعل وحرف موافقاً لقواعد النحو، كأن يكون الترتيب بين اسمين، كقولنا: الوحدة قوة. أو بين اسم وفعل مثل: ربح المجاهدون. أو يكون هناك حرف يربط بين الأسماء والأفعال، كقولنا: نصلي في الأقصى. هذه هي اللبنة الأولى في النظم عند الجرجاني. وهناك لبنة ثانية لا بد منها وهي ترتيب المعاني في النفس أولا ثم اختيار الألفاظ تتفق مع هذه المعاني. وباختصار تتلخص نظرية النظم عند الجرجاني في أمرين، أولهما: ترتيب المعاني في النفس. والثاني: ترتيب الكلمات في النطق. راجع التفصيل في: الجرجاني، *دلائل الإعجاز* (بيروت: دار الكتب العربي، ١٩٩٩) ، ٧٦-٨١. تعليق: محمد التنجي. ط٣. فضل حسن، *إعجاز القرآن الكريم*، المرجع السابق، ٦٩-٧٢.

[٣٠] الإعجاز بالصرفة، معناه أن الله سبحانه وتعالى صرف همم العرب عن معارضة التحدي القرآني.

وقد ظهر في العصر الحديث اتجاه جديد اهتم بالجانب العلمي للقرآن الكريم. ويمكننا تحديد مهمة هذا الاتجاه بأنها منصبة بالدرجة الأولى في إبراز إعجاز القرآن الكريم من جهة ما تضمّنه من العلوم الكونية والطبيعية، وذلك بالاستعانة بمعطيات العلم الحديث.

وأبعد هذه الآراء عن الصواب الرأي القائل بأن إعجاز القرآن بالصرفة[٣٣].وأما باقي الآراء المذكورة آنفاً وغيرها مما لم نذكره هنا، وأيّها يصح اعتبار القرآن معجزاً من جهته، فبيان ذلك نرجئه إلى آخر هذا المبحث. ونشرع الآن في ذكر موقف السر سيد أحمد من إعجاز القرآن.

موقف السر سيد أحمد من إعجاز القرآن الكريم

تناول السر سيد أحمد عند تفسيره لقوله تعالى: وإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ[٣٤] مسألة إعجاز القرآن الكريم. وفيما يلي استجلاء لموقفه من هذه المسألة:

أولا: يرى السر سيد أن القرآن الكريم قد وقع إليه التحدّي الإلهي، وأن هذا التحدي صُرف إلى قوم كانوا لا يعتقدون القرآن كلام الله موحاً إلى نبيه محمد المصطفى صلعم. يقول وهو يفسّر آية التحدي المذكورة: "خاطب الله

---

[٣١] النظام، هو إبراهيم بن سيار بن عباد أبو إسحاق البصري، كان أحد فرسان النظر والكلام على مذهب المعتزلة. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين هجرية. راجع ترجمته في: *تاريخ بغداد* ٦/٩٧-٨. *طبقات المعتزلة* ٤٩-٥٠. *الأعلام* ١/٤٣. (لم أقف له على تاريخ ولادته)

[٣٢] نقل هذا الرأي عنه الزركشي في كتابه: *البرهان في علوم القرآن*، المرجع السابق، ٢/٩٤.

[٣٣] انظر الرد على هذا الرأي في: *إعجاز القرآن* ٤٥-٦. *البرهان* ٢/٩٤.

[٣٤] البقرة، جزء من الآية: ٢ ٣.

المتشككين في كون القرآن من عنده تعالى إزالة لريبهم بأن: ائتوا إن كنتم غير معتقديه وحيا من الله بسورة مثله"[٣٥].

أما ما هو مناط التحدي عند السر سيد؟ إن القرآن الكريم من وجهة نظر السر سيد بلغ من حيث الفصاحة والبلاغة مبلغاً لا يرتقي إليه كلام البشر ولا يدانيه. يقول: "بما أن القرآن وحي –ونسميه وحيا متلوا أو كلام الله – أُلقي في قلب النبوة للنبي صلعم باللفظ دون المعنى، لزم أن تكون فصاحته بحيث لا يوجد لها نظير ولا مثيل"[٣٦].

ومع اعتراف السر سيد للقرآن الكريم بعُلوّ مقامه وسُموّ مكانته من جهة فصاحته وبلاغته على سائر كلام البشر، فإنه لا يعتبر إعجازه من هذه الجهة[٣٧]. وقد صدر السر سيد في إنكاره هذا عن دليل من القرآن الكريم، بالإضافة إلى استشهاده بواقع كلام الناس.

أما الدليل من القرآن فقول الله سبحانه وتعالى: قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[٣٨]. يقول السر سيد مبينا وجه دلالة هذه الآية على فكرته: "التوراة ليست فصيحة وإنما هي كلام عادي؛ لأن جميع مضامينها – عدا التشريعات القومية والموضوعات التاريخية التي أضافها إليها جامعوها– ليست وحيا باللفظ، سوى الأحكام العشرة التي كتبها موسى بيده

[٣٥] السر سيد أحمد خان، *تفسير القرآن* (حيدر آباد، ١٨٥٤) ١/٣٦.

[٣٦] نفس المرجع، ١/٣٧.

[٣٧] انظر: *تفسير القرآن*، المرجع السابق، ١/٣٦–٧.

[٣٨] القصص، الآية: ٤٩.

فظاهر أن القرآن مهما كان فصيحا، فإن التحدي ليس على فصاحته وبلاغته ونظمه"[٣٩].

وهذا الكلام من السر سيد في تبيين وجه دلالة الآية على مطلوبه يقتضي الشرح والبيان: فوجه الدلالة من الآية الكريمة على نفي وقوع التحدي بالفصاحة والبلاغة عند السر سيد، أنها وردت في جواب من أعلنوا الكفر بالتوراة والقرآن. فهي تطالبهم في مقابل كفرهم أن يأتوا بكتاب يتّبعه رسول الله صلعم شريطة أن يكون ذلك الكتاب من عند الله، وأن يكون أهدى من التوراة والقرآن. وهذا الطلب الذي قرن في الآية بين التوراة والقرآن قد فهمه السر سيد على أنه تحدٍّ. مما يدل على أن الفصاحة والبلاغة لو كانتا مناط التحدي القرآني، لما جاء ذكر القرآن في هذا السياق مع التوراة التي هي ليست فصيحة.

وكذلك رأيه في التوراة من أنها وحياً بالمعنى دون اللفظ يفهم منه أن القرآن لكونه قُرن في الآية بينه وبين التوراة وحياً بالمعنى. وإذا كان الأمر كذلك فإن التحدي فيه لا يصح أن يكون من جهة ما تضمنه من الفصاحة وما اشتمل عليه من النظم؛ لكونهما مما يتعلق باللفظ، والقرآن ليس موحى باللفظ.

وأما استشهاد السر سيد بواقع كلام الناس على نفي الإعجاز من فصاحة القرآن وبلاغته، فيوضّحه النص الآتي لكلامه: **أولا**: "يوجد كثير من

---

[٣٩] *تفسير القرآن*، المرجع السابق، ١/٣٧- ٨.

الناس ما لم يماثل كلامهم في الفصاحة والبلاغة كلام آخر، ولم يعتبر مع ذلك أنه كلام الله"[٤٠].

ثانيا: تقدم أن السر سيد أقرّ وقوع التحدّي إلى القرآن الكريم، وإذا كان الوجه البلاغي ليس إعجازا للقرآن ومناط التحدي به عنده، فأيّ وجه ذلك الذي يصح اعتبار القرآن معجزاً ومتحدى به من جهته في نظره؟ ذهب السر سيد إلى أن ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الهداية هو الوجه في إعجازه وعليه وقع التحدي به.

وقد أسّس السر سيد رأيه هذا على آية سورة القصص ذاتها وحال رسول الله صلعم والعرب الجاهليين. وقد تقدم أن الآية الكريمة مسوقة للتحدي في نظر السر سيد. فما ورد فيها من ذكر للهداية هي مناط التحدي القرآني عنده. ولذلك يقول في تفسيرها منتصراً لرأيه:

> "قل للكفار أن يأتوا بكتاب هو أهدى من التوراة والقرآن. التوراة ليست فصيحة وإنما هي كلام عادي؛ لأن جميع مضامينها – عدا التشريعات القومية والموضوعات التاريخية التي أضافها إليها جامعوها– ليست وحيا باللفظ، سوى الأحكام العشرة التي كتبها موسى بيده. فظاهر أن القرآن مهما كان فصيحا، فإن التحدي ليس على فصاحته وبلاغته ونظمه، وإنما على هدايته"[٤١].

وأما استشهاده بواقع رسول الله صلعم والعرب الجاهليين، فيتولّى توضيحه النص الآتي من كلامه:

---

[٤٠] *تفسير القرآن*، المرجع السابق، ٣٧/١.

[٤١] نفس المرجع، ٣٧/١– ٨.

"إن المخاطبين بهذه الآيات [يقصد آيات التحدي] هم العرب، وعليه فينبغي رسم صورة في الذهن لحال العرب وقت نزول القرآن الكريم بحيث تثبت أمام الأعين. كان العرب قوما نهاباً سراقاً قطاع الطرق بدوّاً. البغض والعداوة والحقد التي هي أخسّ الخصائص الإنسانية تغلغلت في عروقهم. سادت بينهم إراقة الدم والضراوة وقتل الأولاد لدرجة لا يوجد لها نظير في أمة أخرى. تخيّم عليهم الجهل والأمية، كان شغلهم الشاغل شرب الخمر وعبادة الأصنام، كانوا منزوين عن الأمم الأخرى في مكان لم يصلهم فيه نور العلم والتربية. ثم ظهر من بينهم رجل قضى بين ظهرانيهم أربعين عاماً من عمره بالنور الربّاني الذي جعله الله في نفسه بمقتضى الفطرة. فبيّن في صراحة حقائق التربية الروحية في عبارات كان العالم والفيلسوف والدهري والجهال والبدوّ على السواء في الاستهداء منها، والتي لم يكن بالإمكان أن يبيّنها غير الله. لم يكن بالإمكان بحسب قانون الفطرة أن تكون مثل هذه الأفكار والأقوال والمواعظ التي ورد ذكرها في القرآن صادرة من رجل من هذا القوم بدون فطرة النبوة التي أودع الله إياها في أنبيائه .... وفيه قال الله: إن كنتم تشكون في كونه من عند الله فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ"[٤٢].

دراسة نقدية لموقف السر سيد أحمد من إعجاز القرآن الكريم

علمنا من خلال العرض السابق ما انتهى إليه السر سيد أحمد من الرأي في إعجاز القرآن الكريم. وهو رأي خرق به السر سيد إجماع علماء المسلمين –قديماً وحديثاً– على أن الوجه اللغوي هو أعظم وأشهر وجه لإعجاز القرآن الكريم[٤٣].وإذا كان هذا الوجه قد انعقد على إثباته الإجماع من

---

[٤٢] *تفسير القرآن*، المرجع السابق، ١/٣٨-٩. (بتصرف يسير)

[٤٣] انظر: عائشة عبد الرحمن، *الإعجاز البياني للقرآن: دراسة قرآنية لغوية وبيانية* (القاهرة: دار المعارف، د.ت.) ٨٢. ط٣. *إعجاز القرآن*، المرجع السابق، ٢٩.

هؤلاء –أهل الفن–، فإن إنكار السر سيد له مما يقضي بالعجب. وعلى أية حال، ففي السطور القادمة نعرض بالنقد لموقف السر سيد من إعجاز القرآن الكريم. ففي التالي نقد موقف السر سيد من إعجاز القرآن الكريم.

نقد دعوى السر سيد ثبوت الإعجاز بالهداية

سبق أن السر سيد جعل الهداية الوجه في إعجاز القرآن الكريم ومناط التحدي به. وهذا الرأي منه مدفوع بما يأتي:

الأول: فساد الأصل

تقدم أن الأصل الذي بنى عليه السر سيد رأيه في اعتبار الهداية الوجه في الإعجاز والتحدي تمثّل في آية سورة القصص وواقع العرب. وإليك الآن بيان وجه الفساد في ذلك:

- **نقد استدلال السر سيد بآية القصص**

أسلفنا تبيين وجه استدلال السر سيد بقوله تعالى: قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ على كون الهداية الوجه المتحدى به القرآن. والناظر في هذه الآية الكريمة يجد أنها عن مسألة التحدّي بمعزل لا تمت إليها بصلة. قال الشيخ ثناء الله–رحمه الله– مستدركاً على السر سيد ربطه الآية بالتحدّي:

> " ليس لهذا المضمون [يقصد مضمون آية القصص] من علاقة بآية التحدي. وإنما فيه إلزام للكفار بأنكم رغم أنكم لا تملكون أي كتاب سماوي، فإنكم مع ذلك مصرّون على المخالفة. فإن كنتم أيضاً على العلم بالدين فلْتأتوا بكتاب يُطلعكم عليه؛ ليتبين الحق بجانب من مِنّا ؟"[٤٤].

[٤٤] ثناء الله، *التفسير الثنائي* (لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٩٧١) ١/٤٤. ط٢

وأورد قوله تعالى: أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ[٤٥] تأييداً لقوله آنف الذكر في تفسير آية القصص. ثم قال ما يفيد: "لو كانت آية القصص تفسيراً لآيات التحدي [كما يعبّر به استدلال السر سيد] لورد عليه أن الآية فيها طلب من الكفار أن يأتوا بكتاب من عند الله تعالى. في حين أن آيات التحدي فيها طلب منهم أن يأتوا بكتاب من وضعهم"[٤٦]. ثم أشار إلى تصرّف السر سيد في تفسير آية القصص، حيث أهمل في التفسير ذكر قيد مِنْ عِندِ اللَّهِ؛ لأنه كان يضره[٤٧].

وإذ تبيّن من هذا البيان كون قوله تعالى: قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ليس لها علاقة بمسألة التحدي، فاستدلال السر سيد بها على إثبات الهداية الوجه في التحدي وضع لها في غير موضعها.

على أن الاستدلال بآية القصص في مسألة التحدّي يترتّب عليه أمر كان على السر سيد وهو ينتصر لرأيه في التحدي بالآية ذاتها التأكّد أولا من ثبوت ذلك الأمر، ثم كان له بعد ذلك مجال الاستدلال بالآية. فكان عليه قبل الاحتجاج بآية القصص التأكد من ثبوت وقوع التحدي بالتوراة التي ورد ذكرها في هذه الآية.

فهل كانت التوراة موضعاً للتحدي الإلهي؟ لم يقل أحد إن التوراة بل وكتب الأنبياء السابقين جميعا كانت آيات رسالتهم ودلائل نبوتهم[٤٨]. فهذا

---

[٤٥] القلم، الآية: ٣٧.

[٤٦] انظر: *التفسير الثنائي*، المرجع السابق، ٤٤/١.

[٤٧] نفس المرجع، ٤٥/١.

[٤٨] انظر: *الإعجاز البياني للقرآن*، المرجع السابق، ٩٣.

القرآن الكريم – وهو مرجعنا الحقيقي في هذا الباب – لو أجلنا النظر في آياته الواردة في قصة موسى عليه السلام، لوجدنا أن التوراة لم يحتج بها موسى أمام منكري رسالته. بل وعلى عكس ذلك نجد في هذه الآيات ذكراً لآيات وبراهين أخرى جعلها الله لموسى دليلا على صحة نبوته. قال الله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام: "وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ"[٤٩]. وذكر تعالى قول موسى لفرعون فقال جلّ وعلا: "قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ"[٥٠].

فهذه الآيات القرآنية وغيرها مما لم نذكره هنا[٥١] المخبرة عن معجزات موسى عليه السلام، لا نجد فيها ذكر التوراة على أنها كانت معجزة – كاليد والعصا– حاجّ بها موسى عليه السلام خصومه في رسالته. وعليه فما ورد ذكره في آية القصص من طلب الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن، ليس هذا الطلب فيها وارداً على سبيل التحدي كما زعم السر سيد. بل هو من باب إلزام المخالفين كما بيّن الشيخ الأمرتسري.

---

[٤٩] النمل، الآيات: ١٠–١٢.

[٥٠] الشعراء، الآيات: ٣٠–٣٣.

[٥١] انظر مثلا: الآيات: ١٠٢– ١٠٨ من سورة الأعراف. والآيتين: ١٠١–٢ من سورة الإسراء.

ولعلّ القول باختصاص القرآن الكريم بالتحدي من بين الكتب السماوية يسشهد له قول رسول الله صلعم: ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة[٥٢].

فقول رسول الله صلعم في القرآن الكريم: وإنما كان الذي أوتيت وحيا يدل على اختصاصه من بين الكتب السماوية بالإعجاز. قال الإمام ابن كثير – رحمه الله– في شرح ذلك: "أي الذي اختُصصتُ به هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء"[٥٣].

– نقد استشهاد السر سيد بحال رسول الله صلعم والعرب الجاهليين

أسلفنا تبيين وجه استشهاد السر سيد بحال رسول الله صلعم والعرب الجاهليين على جعل الهداية الوجه المتحدي به القرآن. وهو منقوض بالبيان الآتي:

إنه إن صحّ جعل الهداية مناط التحدّي بناءاً على أن رسول الله صلعم لم يسبق له وهو بين ظهراني قومه الجاهليين العلم بها، فإن هذا لا يصير مانعاً من اعتبار الفصاحة والبلاغة وجها معجزا للقرآن ومناط التحدي به.

فأي ضير في اعتبار فصاحة القرآن التي لا يوجد لها نظير في كلام العرب وجه الإعجاز؟ وأي بأس في اعتبار بلاغة القرآن التي لا يوجد لها مثيل

---

٥٢ أخرجه مسلم في (صحيحه) بإسناد عن أبي هريرة،كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلعم، حديث رقم (١٥٢)، ص ٧٦-٧.

٥٣ *تفسير القرآن العظيم* ٩٦/١.

في كلام العرب وجه الإعجاز؟ فما الذي يحول دون اعتبار الفصاحة والبلاغة التي لا ترتقي إليها همم العرب ولا تبلغها قدرتهم وطاقتهم وجه إعجاز القرآن ومناط التحدي به، ورسول الله صلعم لم يُعرف من حاله أنه كان متمرّسا لأساليب كلام العرب وفنونه؟

لا شيئ يحول دون اعتبار ذلك بطبيعة الحال، فلا اعتبار –إذنْ– لقصر السر سيد صفة الإعجاز والتحدي على هداية القرآن الكريم. على أنّا لو جعلنا واقع العرب معياراً للتحدي لصار قصر صفة التحدي على فصاحة القرآن وبلاغته أمر لا مندوح منه. ولنذكر بعض المواقف التي وقفها بعض العرب الجاهليين تجاه القرآن الكريم تأييداً لما قلناه آنفا: فهذا الوليد يقول في القرآن حينما تُلي عليه بعض آياته قولته المشهورة: " والله إن لقوله الذي يقول لحَلاوة، وإن عليه لطُلاوَة [٥٤] وإنه مُثمِر أعلاه مُغْدِق[٥٥] أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته"[٥٦].

وهذا أبو جهل يجتمع مع ملأ من قريش لينظروا في أمر دين الإسلام حيث هلعهم انتشاره، فكان مما جرى بينهم من الكلام: "لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالسحر والكهانة والشعر فكلّمه ثم أتانا ببيان من أمره". فقال عتبة: "لقد سمعتُ بقول السحرة والكِهانة والشعر، وعلمت

---

[٥٤] طلاوة، –بضم الطاء وفتحها– حسن وبهجة. راجع: *لسان العرب*، ١٥/١٥.

[٥٥] مغدق، من الغَدَق وهو المطر الكثير العام، والماء الكثير وإن لم يك مطر، وأغدق يُغدق إغداقا فهو مُغدِق. راجع: *لسان العرب* (مادة غدق) ٣٤٠/١٠. وقال القارئ: "اسم فاعل من الغدق –بفتحتين–، وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه في قوالب متباينة". ملا علي القارئ، *شرح الشفا* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.) ٥٥١/١.

[٥٦] وأخرجها الحاكم عن ابن عباس في (المستدرك) ٥٠٦/٢–٧. وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد وعلى شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

من ذلك علما، وما يخفى عليّ إن كان ذلك. فأتاه، فلما أتاه قال له عتبة: يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله[٥٧]؟ فلم يجبه. قال: فيم تشتم آلهتنا وتضلّل آباءنا؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسَنا ما بقيت. وإن كان بك الباءة[٥٨] زوّجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت. وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعَقِبك[٥٩] من بعدك، ورسول الله صلعم ساكت لا يتكلم. فلما فرغ، قال رسول الله صلعم: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فقرأ حتى بلغ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ[٦٠] فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ..."[٦١].

وفي رواية أخرى ... فلما سمعها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله صلعم إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت. قال: فأنت وذاك.

---

[٥٧] هو أبو رسول الله صلعم.

[٥٨] الباءة، النّكاح وسمي كذلك لأن الرجل يتبوّأ من أهله، أي يستَمكن من أهله كما يتبوأ من داره. راجع: *لسان العرب* (مادة بوأ)١/٤٢.

[٥٩] العَقِب، الولد والنّسل. راجع: نفس المرجع، (مادة عقب) ١/٧١٦.

[٦٠] فصلت، الآيات ١-١٣.

[٦١] أخرج الرواية البيهقي في (دلائل النبوة)، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز٢/٢٠٢= ٤. وأخرجها كذلك عبد الله ابن أبي شيبة في (مصنفه) ببعض الزيادة، كتاب: المغازي، باب: أذى قريش للنبي صلعم وما لقي منهم، حديث رقم (٣٧٥٥٧)، ١٣/٢٠٨-٢١٠ عن جابر بن عبد الله. ط٢ (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م). مكتبة الرشد – الرياض. روى ابن أبي شيبة هذه الرواية بسنده عن علي بن مسهر عن الأجلح عن الذّيّال بن حرْملة عن جابر رضي الله عنه.

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قطُّ. والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه. فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأٌ. فإن تصبه العرب فقد كُفِيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلكُه ملككم وعِزُّه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك –والله– يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم ....[٦٢].

فعلام يدل قول المغيرة في القرآن الكريم: "إن له لحلاوة وإنه له لطلاوة ..."؟ هل كان يعني المغيرة بالحلاوة حلاوة الهداية القرآنية التي كان هو وأمثاله لا يطيقون سماعها وينفرون منها لأنها كانت تسفّح عقولهم؟ أم كان يعني بالحلاوة فصاحة القرآن وبلاغته؟ لا شك أنه عنى هذا. لأن العرب كانوا أهل هذه الصنعة، والقرآن الكريم في الطبقة العليا من الفصاحة وفي الدرجة القصوى من الفصاحة. ولهذا لما سمع المغيرة القرآن استولى على قلبه وجعله مشدوداً إليه، فقال فيه ما قال.

وهكذ قول عتبة في القرآن الكريم: "لقد سمعتُ بقول السحرة والكِهانة والشعر، وعلمت من ذلك علما ... إلخ " لم يُرد به عتبة إلا ما كان عليه

[٦٢] أخرجها البيهقي في (دلائل النبوة)، باب: اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز ٢٠٥/٢. وهذه الرواية مرسلة، إذ قال فيها: "محمد بن كعب قال: حُدّثت أن عتبة بن ربيعة ...". ومحمد بن كعب هو القُرَظي أحد التابعين الثقات. راجع: *تقريب التهذيب* ٢١٢/٢. ومرسل التابعي لا يحتجّ به إلا بشروط اشترطها بعض الأئمة لا تنطبق على هذا المرسل. لكن هذه الرواية عُضدت بالروايات السابقة.

القرآن من الفصاحة والبلاغة، ولهذا نفى عنه أن يكون من كلام الساحر أو الشاعر. وهكذا يعود دليل السر سيد على نفسه بالنقض.

ثانيا: ردود أخرى

ويدفع رأي السر سيد في التحدي والإعجاز – أيضاً – ما يأتي:

أ– أن القرآن الكريم معجز ومتحدى به بقليله وكثيره[٦٣]. ونجد قضايا العقيدة لم ينتظمها القرآن الكريم في جميع آياته وسوره. فلا يصح – إذنْ – إعجاز القرآن الكريم من هذه الجهة.

ب– أن الاهتداء لا يختص بالقرآن وحده، وإنما هو واقع كذلك لغير القرآن من الكتب السماوية. كما يقرر ذلك القرآن نفسه في قوله تعالى: الم. اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ. مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ[٦٤]. ويقول الله سبحانه في وصف التوراة: إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ[٦٥].

---

[٦٣] انظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن* (مصر: دار المعارف، د.ت) ٢٣–٤ (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز).تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول. ط٣. عبد الجبار، *المغني*، ٢٢٠. ويقول الإمام ابن كثير في تفسير آية التحدي في (البقرة) وفي (يونس) تفسير القرآن العظيم ٩٨/١:

"يعمّ كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعمّ، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين. ... فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها".

[٦٤] آل عمران، الآيات ١–٤.

[٦٥] المائدة، جزء من الآية: ٤٤.

فليس إعجاز القرآن من هذا الوجه، فكل رسالات السمآء قائمة على هذا المقصد، ثم إنها مع ذلك ليست معجزة في ذاتها[٦٦].

جـ- أنّا لو اعتبرنا الهداية وجه الإعجاز في القرآن ومناط التحدي، لكنا قد جعلنا الدعوى دليلا. وذلك لأن الهداية التي طلع بها القرآن الكريم العرب، كانت جديدة عليهم لم تألفها عقولهم من قبل. ولهذا كانوا إذا دُعوا إليها قالوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ[٦٧]. وقالوا: مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ[٦٨].

والقرآن حين تحدّى المشركين فتحداهم انتصاراً لما جاء به من الهداية الربانية والأحكام الإلهية. فتقديم ذلك أمام المشركين على أنه دليل على صدق القرآن وأنه منزل من عند الله ليس إلا جعلٌ للدعوى دليلاً. وذلك تخطّ لحدود البرهنة والاستدلال.

ولعلّ ما ذكرناه آنفا هو الذي عناه الشيخ الأمرتسري بقوله رادا على السر سيد استدلالَه بآية القصص على إثبات التحدي للقرآن بهدايته: "لو كان المراد من المثلية، المِثل في الهداية، لكان الكلام لم يكن له معنى. إذ لم يخطر يوماً ببالهم [يقصد المشركين] أنّا إن اجتمعنا على أن نأتي بكتاب في الهداية مثل القرآن أتينا به. بل كانوا يستنكرون بشدّة هداية القرآن، كانوا يقولون مرارا: بدّل هذا القرآن وائت بكتاب غيره إنه يسبّ آلهتنا، ولم يكن الوجه المعقول عندهم لتكذيبهم للقرآن سوى: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ

---

[٦٦] انظر: عبد الكريم الخطيب، *الإعجاز في دراسات السابقين* (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٤) ١٩٦.

[٦٧] ص، الآية: ٥.

[٦٨] ص، الآية: ٧.

"فالقول لهؤلاء الذين تبرّؤا من القرآن وهدايته غير ملتفتين إليها، القول لمثل هؤلاء: ائتوا مجتمعين بكتاب -كالقرآن- يهدي الأنام. كقول هندوسي أو نصراني لمسلم قد تبرأ من تعاليم الكتب عندهم: إن كنت لا تؤمن بكتابنا المتضمن دعوة إلى الوثنية والتثليث فأت بكتاب مثله في الهداية"[٦٩].

د- ولعل مما يدل على فساده أيضاً أن الله تحدّى العرب أن يأتوا ولو بأحاديث مفتراة مختلقة. حيث قال: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ[٧٠]. فكيف يُتصوّر وقوع التحدي بالقرآن من جهة ما اشتمل عليه من الهداية، وهي بعيدة كل البعد عن الكلام المفترى المختلق؟.

نقد دعوى السر سيد عدم ثبوت الإعجاز بالفصاحة والبلاغة

أسلفنا أن السر سيد أنكر إعجاز القرآن بفصاحته وبلاغته، وزعم أن الإعجاز فيه من جهة ما فيه من الهداية. أما زعمه كون القرآن معجزاً بالهداية، فقد أشبعناه ردّاً فيما مضى. ونعرج هنا على دحض إنكاره إعجاز القرآن بالفصاحة والبلاغة. وقد ذكرنا أن مستند إنكاره في ذلك آية سورة القصص وواقع كلام الناس. فلِنبدأ أولا بنقد استدلاله بالآية الكريمة:

- نقد استدلال السر سيد بآية القصص

أوضحنا فيما سبق وجه استدلال السر سيد بقوله تعالى: قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، على نفي الإعجاز من فصاحة القرآن وبلاغته. فهل الآية تدل حقاً على نفي إعجاز القرآن بفصاحته وبلاغته؟

---

[٦٩] *التفسير الثنائي*، المرجع السابق، ١/٤٣-٤.

[٧٠] هود، جزء من الآية: ١٣.

سبق أن حقّقنا مدلول هذه الآية الكريمة، وكانت النتيجة التي سلّمنا إليها التحقيق أن الآية ليس لها علاقة بمسألة التحدي والإعجاز من قريب أو بعيد. وعليه فاستدلال السر سيد بها على نفي الإعجاز من فصاحة القرآن وبلاغتهاستدلال في غير محله.

ويترتب على هذا فساد استدلال السر سيد على إنكار الإعجاز والتحدي بالفصاحة بكون القرآن موحى بالمعنى دون اللفظ. إذ لم يؤسس استدلاله هذا إلا على آية القصص. وقد بينا وجه الفساد في ربط هذه الآية بموضوع الإعجاز والتحدي. ومع هذا فإنا نتناول استدلاله المذكور على الإنفراد بالرد والنقض. ويكون ذلك بما يأتي:

أ- أنه منقوض بقول السر سيد نفسه: "بما أن القرآن وحي – ونسميه وحيا متلوا أو كلام الله – أُلقي في قلب النبوة للنبي صلعم باللفظ دون المعنى". ومنقوض بقوله في تفسير هذه الآية أيضاً: وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ[٧١] "يظهر من هذا أن نزول القرآن على قلب رسول الله صلعم كان باللغة العربية، وليس أن المعنى هو الذي أوحي إليه فقط، وأن الألفاظ التي عُبر بها عن ذلك المعنى من إنشاءه صلعم"[٧٢].

ب- أن القرآن الكريم لو كان وحياً بالمعنى فقط دون اللفظ لم تصح نسبته إلى الله تعالى، مع أن الله يقول: وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ[٧٣]. فلما كان القرآن من ترتيب الله صح نسبته إليه دون سواه،

---

[٧١] الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

[٧٢] السر سيد، *التحرير في أصول التفسير*، المرجع السابق، ٢٠.

[٧٣] التوبة، جزء من الآية: ٦.

وإن نطقه جبريل ومحمد –عليهما السلام– وملايين الخلق من بعد جبريل ومحمد عليهما السلام. وذلك كما يُنسب الكلام البشري إلى من أنشأه ورتبه في نفسه أولا دون غيره ولو نطقه آلاف الخلائق[٧٤]. وأيضاً فإنه لو كان منزلا بالمعنى فقط لم يكن متعبداً بتلاوته ولجازت قراءته بالمعنى، مع أن القرآن متبعد بتلاوته لا تجوز قراءته بالمعنى[٧٥]، وكذلك لم يؤمن التبديل والتحريف[٧٦].

– نقد استشهاد السر سيد بواقع كلام الناس

بيّنّا فيما سلف وجه استشهاد السر سيد بواقع كلام الناس على نفي الإعجاز في القرآن من جهة ما فيه من الفصاحة والبلاغة. وهو مما يمجّه العقل ويلفظه. ويدل على بطلانه ما يأتي:

أ– إن دعوى أن كثيراً من الناس من لا يُوجد لكلامهم في الفصاحة والبلاغة نظير ولا مثيل، دعوى باطلة. فلم ولن يحصل أن يظهر بليغ بكلامه أوشعره ويعجز الآخرون عن معارضته. يقول الشيخ عبد الحق[٧٧] معقباً على استشهاد السر سيد بواقع كلام الناس على إنكار إعجاز القرآن بفصاحته وبلاغته:

"أي ذلك الكلام البشري الذي لم يماثله إلى اليوم في الفصاحة والبلاغة كلام آخر مع قيام التحدي. نعم، لو ألّف أحد كتاباً بديعاً ولم يدْعُ

---

[٧٤] انظر: *مناهل العرفان*، المرجع السابق، ١/٤١.

[٧٥] انظر: *الإتقان*، المرجع السابق، ١/٤٤.

[٧٦] نفس المرجع

[٧٧] عبد الحق، هو ابن أمير الدهلوي الشيخ العالم الفقيه المفسر المشهور. ولد بـ (كمتهله) قرية من أعمال (أنباله) من أرض بنجاب سنة ١٢٦٧ هـ. وتوفي سنة ١٣٣٥ هـ. من آثاره: فتح المنان في تفسير القرآن، البيان في علوم القرآن، عقائد الإسلام، التعليق النامي على الحسامي. راجع ترجمته في: *نزهة الخواطر* ٨/٢٤١-٢.

معيّراً فصحاء زمانه وبلغائه إلى معارضته، واتُفق أن لم يرفع أحد منهم قلماً للكتابة لمدة، فلا يُسلّم هذا الكتاب من هذا الوجه أنه منزل من عند الله. ولكن لا يكون التحدي بقطعة من كلام مع دعوة الناس إلى الاجتماع على معارضته، وقد ثبت أنهم حاولوا المعارضة ولكنهم كفّوا عن الإتيان بكلامهم، لعلمهم بما فيه من نقص، بل وكان أضحوكة عند بني جلدتهم، لا يكون هذا إلا دليلاً صريحاً على أنه من عند الله"[٧٨].

ب– ومما يدل على فساد استشهاد السر سيد بواقع كلام الناس – أيضا– أن بين كلام الله وكلام البشر بون شاسع، بل ولا وجه للمقارنة أصلاً. فالمعجزة لكي تكون معجزة لا بدّ وأن تكون أمر الله. وتكون – فوق ذلك – خارقة للعادة[٧٩]. والقرآن الكريم من دون شك كذلك.

فهل من كلام أحد يستأهل هذا المقام من للقرآن الكريم؟ ليس أحد يستأهل كلامه هذا المقام، فلا وجه –إذن– لاستشهاد السر سيد بواقع كلام الناس على نفي إعجاز القرآن بفصاحته وبلاغته. وبهذا نكون قد انتهينا من عرض أدلة السر سيد في إعجاز القرآن الكريم. وقد تبيّن لنا من خلال العرض أنها لا تقوم حجة على ما ذهب إليه السر سيد في هذه المسألة. ويحسن بنا بعد هذا أن نذكر الرأي المختار في إعجاز القرآن الكريم.

الرأي المختار في إعجاز القرآن الكريم

---

[٧٨] عبد الحق، *مقدمة تفسير فتح المنان* (كراتشي: نور محمد كارخانة تجارت كتب، د.ت) ١٢٤/١.

[٧٩] انظر: علي الآمدي، *أبكار الأفكار في أصول الدين* (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٣) ٦٦٤/٢. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. ط١. عبد الرحمن الإيجي، *المواقف في علم الكلام* (بيروت: عالم الكتب، د.ت.) ٣٣٩.

تناول علماؤنا الأجلاء مسألة إعجاز القرآن الكريم وبحثوها بحثاً وافياً. ومما اتفقت عليه كلمتهم أن الوجه اللغوي هو أعظم وأشهر وجه لإعجاز القرآن[٨٠]. واختلفوا فيما عداه من الوجوه ما بين مؤيد لها ومعارضها. والرأي الذي يميل إليه الباحث ويختاره في ذلك هو الاقتصار على الوجه اللغوي. فبه يتحقق الإعجاز في القرآن وعليه يصح التحدي به. ولهذا الرأي مرجِّحان، هما:

المرجح الأول: أن هذا الوجه سارٍ في القرآن كله منتظم له في سوره على اختلافها طولاً وقصراً. والقرآن الكريم -كما سبق- معجز ومتحدى بقليله وكثيره. وهذه النقطة في غاية الأهمية لا يحسن إهمالها عند بحث مسألة الإعجاز.

المرجح الثاني: أن المعجزة إنما تكون من جنس ما برع فيه قوم كل نبي[٨١]. والقرآن الكريم -المعجزة الكبرى لرسول الله صلعم - نزل في قوم كانت البلاغة سجيّتهم والتفنن في الكلام فطرتهم. ومن هنا كان إعجازه ببلاغته الخارقة ونظمه البديع.

تساؤل

هذا وقد يكون الترجيح للوجهين سابقي الذكر على سائر الوجوه الأخرى المسلوكة في عداد إعجاز القرآن الكريم من نحو مكنونات الغيب ودقائق التشريع وأسرار الكون العلمية وغيرها، يبعث في الذهن سؤالا:

---

[٨٠] انظر: عائشة، *الإعجاز البياني للقرآن*، المرجع السابق، ٨٢.

[٨١] انظر: *المواقف في علم الكلام*، المرجع السابق، ٣٥٤. مسعود التفتازاني، *شرح المقاصد* (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٨) ١٨/٥. تحقيق: عبدالرحمن عميرة. ط٢.

- لماذا لا تصلح هذه الوجوه أن تكون وجها لإعجاز القرآن الكريم؟
- إن الوجه اللغوي لا يعرفه إلا العرب، فكيف يقف غير العرب على هذا الوجه، وخطاب القرآن عام يشمل العرب وغيرهم؟

وللإجابة عن السؤال الأول أقول:

أولا: إن مما عُدّ من وجوه إعجاز القرآن الكريم كأخبار الغيب والتشريع والعلوم الكونية، إنما لا تصلح أن تكون وجها لإعجاز القرآن؛ لكونها ليست جارية في القرآن الكريم كله، وإنما هي مفرقة ومبثوثة فيه.

وقد لاحظ بعض المحققين من العلماء هذه النقطة وردّوا بها على القول بكون الإخبار بالغيب عن أمور المستقبل وجها من وجوه الإعجاز؛ لأنه ليس بالوجه العام الذي يتحقّق في كل سورة من القرآن. والقرآن الكريم –كما تقدم– معجز بسوره كلها طويلها وقصيرها. يقول الخطابي – رحمه الله– في ذلك:

"ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه. ولكنه ليس بالأمر العام والموجود في كل سورة من سور القرآن. وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، فقال: وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ، من غير تعيين. فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه"[٨٢].

[٨٢] الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، المرجع السابق، ٢٣–٤.

وفي المغنى نفسه يقول عبد الجبار: "فأما من قال إنه صلى الله عليه إنما تحدى بالقرآن من حيث تضمن الإخبار عن الغيوب فبعيد؛ لأنه قد تحدى بمثل كل سورة من غير تخصيص، ولا يتضمن كل ذلك الإخبار عن الغيب"[٨٣].

وهذا الملحظ نفسه وارد على باقي وجوه الإعجاز؛ فهي ليست متحققة في كل سورة من سور القرآن الكريم. وبالتالي فلا تصلح أن تكون وجها لإعجاز القرآن.

وثانيا: ولا تصلح هذه الوجوه أن تكون وجها لإعجاز القرآن الكريم؛ لأن العرب لم يكونوا أهل هذه العلوم. ولا يجوز في العرب أن يُعدل في باب التحدي عن الطريق المعتادة لهم فيه إلى طريق غير معتادة. وقد سبق فيما مضى أن التحدي يكون على شيئ منسجم مع أحوال المتَّحدين متفق مع واقعهم. قال القاضي عبد الجبار مشيراً إلى هذا المعنى: "ولا يجوز في العرب أن تنصرف في هذا الباب عن الطريق المعتادة لهم في التحدي إلى طريق غير معتادة؛ لأنهم قد عرفوا أن المنازعة والمباراة في سائر الكلام كيف تقع، وأنه لا يعتبر في المعاني وحدها وإنما يعتبر في الفصاحة "[٨٤].

وأقول في الإجابة عن السؤال الثاني: إن القرآن وإن كان خطابه عام يشمل العرب وغير العرب. فإن غير العرب إنما تتم لهم معرفة إعجاز القرآن ببلاغته وأسلوبه عن طريق العرب. فإذا عرفوا أن العرب أهل اللسان عجزوا عن معارضة القرآن في ذلك، علموا أنه معجز من ذلك الوجه، وجروا مجرى العرب في توجّه الحجة عليهم. قال الباقلاني:

---

[٨٣] عبد الجبار، *المغني*، المرجع السابق، ٢٢٠/١٦.

[٨٤] نفس المرجع، ٢٨١/١٦.

"قد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ومعرفة وجه دلالته؛ لأن الأعجمي لا يعلم أنه معجز، إلا أن يعلم عجز العرب عنه. وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة الفصاحة. فإذا عرف عجز أهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه"[٨٥].

وعبد القاهر البغدادي –رحمه الله– يثير التساؤل عن كيفية معرفة العجم لوجه الإعجاز في القرآن من جهة ما فيه من الفصاحة، فأجاب بنفسه بقوله:

"إذا علمت العجم أن العرب أهل اللسان وقد عجزوا عن معارضته فيه، علموا كونه معجزاً، كما أن السحرة لما عجزت عن معارضة موسى في عصاه عرف غيرها وجه الإعجاز في العصا، أنها ليست بسحر؛ لأنها لو كانت سحرا لعارضته السحرة بمثلها. كذلك العجم يعلم أن القرآن لو كان من جنس كلام البشر لقدر على مثله أهل اللغة"[٨٦].

هذا ومما تجر إضافته إلى ما سلف ذكره أن الذين سلكوا القِيَم والمثل والأحكام والمغيبات القرآنية في الإعجاز لم يستطيعوا أن يفصلوها عن النظم البليغ الذي صيغت به[٨٧].

خاتمة

ليس القول بعدم الاعتداد بالوجوه التي تقدم الكلام عليها آنفاً في مسألة الإعجاز. والتحدي يعني تجريد هذه الوجوه من الفائدة بالكلية. وتوفية للموضوع حقه رأينا أن نختم هذا البحث بذكر تلك الفائدة المنطوية عليها

---

[٨٥] *إعجاز القرآن*، المرجع السابق، ٤٠-٤١.

[٨٦] وعبد القاهر البغدادي، *أصول الدين* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١) ١٨٤. ط٣. وهذا الرأي نفسه يذهب إليه الطبري «*جامع البيان*، ٢١٦/١»، وعبد الجبار «*المغني* ٢٩٥/١٦-٦».

[٨٧] انظر: *الإعجاز البياني للقرآن*، المرجع السابق، ٩٠، ٩٣.

تلك الوجوه في القرآن الكريم. فنقول: إن ما اشتمل عليه القرآن الكريم من علوم كونية –شريطة تحققها– وأخبار الغيب والشرائع وغيرها تؤخذ من القرآن الكريم على أنها دلائل صدق نبوة رسول الله صلعم وصدق فيما أخبر به.

عرض القاضي عبد الجبار للكلام على وجه الإخبار عن الغيب، فذكر فائدته قائلاً: "إن هذا الوجه مما يدل على النبوة"[٨٨]. وعالم آخر محدث[٨٩] تناول ما في القرآن من مكنونات الغيب ودقائق التشريع وأسرار الكون بالبحث والمناقشة[٩٠]، فكان مما انتهى إليه في ذلك أن: "ما فيه من ذلك يُعدّ دليلا على أن القرآن من عند الله تعالى"[٩١].

وهكذا نخلص مما سبق أن الدلالة على كون القرآن كلام الله، وعلى كون الذي نزل به رسول صدق وحق قاسم مشترك بين جميع الوجوه[٩٢]. وتفترق هذه الوجوه في أن التحدي بالقرآن يصح على الوجه المركب من البلاغة والأسلوب، بخلاف سائر الوجوه الأخرى فلا يصح إضفاء صفة التحدي عليها؛ لأسباب سبق ذكرها، والله أعلم.

---

٨٨ *المغني*، ٢٨١/١٦.

٨٩ هو محمود شاكر.

٩٠ انظر: *مقدمة الظاهرة القرآنية* (دمشق: دار الفكر، ١٩٨١) ٢٨–٣١. ترجمة: عبد الصبور شاهين.

٩١ نفس المرجع، ٣١.

٩٢ ولعل اعتبار ما في القرآن من الأخبار المغيّبة ودقائق التشريع والأسرار العلمية دلائلا – دون وجوه لإعجاز القرآن أو مناط التحدي به– على صدق القرآن وأنه كلام الله تنحل به نهائيا مشكلة عدم معرفة العجم لهذه الدلالة من جهة الإعجاز اللغوي للقرآن.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأثير، ابن ، *الكامل في التاريخ*، تعليق: مجموعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العربي، د.ت.

الآمدي، علي، *أبكار الأفكار في أصول الدين*، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٣.

الإيجي، عبد الرحمن ، *المواقف في علم الكلام*، بيروت: عالم الكتب، د.ت.

الباقلاني، *إعجاز القرآن*، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨.

البغدادي، الخطيب ، *تاريخ بغداد*، بيروت: دار الكتب العربي، د.ت.

البغدادي، عبد القاهر، *أصول الدين*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١.

البيهقي، أحمد، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.

التفتازاني، مسعود، *شرح المقاصد*، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٨.

ثناء الله، *التفسير الثنائي*، لاهور: إدارة ترجمان السنة، ١٩٧١.

الجرجاني، *دلائل الإعجاز* (بيروت: دار الكتب العربي، ١٩٩٩)

حزم، ابن، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

خان، السر سيد أحمد، *تفسير القرآن:* حيدر آباد، ١٨٥٤.

الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، مصر: دار المعارف، د.ت.

الخطيب، عبد الكريم، *الإعجاز في دراسات السابقين*، بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٤.

الرازي، القزويني، *معجم مقاييس اللغة*، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩.

الزرقاني، محمد، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، د.ت.

الزركشي، محمد، *البرهان في علوم القرآن*، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠.

الزركلي، *الأعلام*، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.

الزبيق، إبراهيم، *طبقات علماء الحديث* بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩.

السيوطي، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، بيروت: دار الكتب العربي، ١٤٢٦ هـ.

السيوطي، جلال الدين، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، لبنان: المكتبة العصرية، ٢٠١٠.

السيوطي، جلال الدين، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، تحقيق: على محمد البجاوي، القاهرة: دار الفكر، د.ت.

شهبة، محمد أبي، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، القاهرة: نشر مكتبة السنة، ١٩٩٢.

الصالح، صبحي، *مباحث في علوم القرآن*، بيروت: نشر دار العلم للملايين، ١٩٨٥.

عبد الجبار، *المغني في أبواب العدل والتوحيد*، تحقيق: أمين الخويلي، القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٠.

عبد الحق، *مقدمة تفسير فتح المنان*، كراتشي: نور محمد كارخانة تجارت كتب، د.ت.

عبد الرحمن، عائشة، *الإعجاز البياني للقرآن: دراسة قرآنية لغوية وبيانية*، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

العسقلاني، ابن حجر، *تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة*، حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٤ هـ.

القارئ، ملا علي، *شرح الشفا*، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

قدامة، ابن، *التبيين في أنساب القرشيين*، تحقيق: محمد نايف الدليمي، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢ هـ.

كحالة، عمر رضا، *معجم المؤلفين*، بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.

مرتضى، أحمد ا، *طبقات المعتزلة*، تحقيق: نخبة من العلماء، بيروت: المطبعة الكاثولوكية، ١٩٦٠.

مقدمة الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ١٩٨١.